أثر منهج التربية الإسلامية في تكوين الشخصية المسلمة منهج الصف السادس الإعدادي أنموذجاً

ضنار صائب جواد
قسم التربية الدينية، كلية العلوم الإسلامية
جامعة صلاح الدين أربيل، كردستان، العراق

أ.د. باقر جواد شمس الدين
قسم التربية الدينية، كلية التربية، جامعة عقرة للعلوم التطبيقية
عقرة - كردستان، العراق

Chinar Saib Jawad, University of Akre for Applied Sciences
College of Education / Department of Islamic Education
Prof. Dr. Baqer Jawad Shamsulddin, Salahaddin University
Erbil / College of Islamic Sciences
Department of Religious Education

The Impact of the Islamic Education Curriculum on Shapering the Muslim Personality: The Sixth Preparatory Grade Curriculum as a Case Study

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين، وبعد: تتناول هذه الدراسة موضوع منهج التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي بالبحث والتحليل، بهدف بيان مدى إسهامه في ترسيخ مفهومي الإيمان العميق والإيجابية وأثرهما في بناء الشخصية المسلمة. وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تقويم محتوى المنهج واستجلاء مضامينه التربوية، وركزت الدراسة على تحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة بالمنهج والتربية الإسلامية والشخصية، وتحليل كيفية معالجة موضوع الإيمان العميق في مفردات الكتاب وأثره في تكوين الشخصية السوية، إضافة إلى دراسة مفهوم الإيجابية وبيان انعكاساته السلوكية والاجتماعية لدى الطلبة. كما سعت إلى إبراز البعد التربوي للمحتوى وتحويله إلى سلوك عملي فاعل داخل البيئة التعليمية.

هذا وتوصلت الدراسة إلى أن منهج التربية الإسلامية يمتلك طاقة تربوية مؤثرة في بناء القيم وتعزيز السلوك الإيجابي، إلا أن فاعليته تتوقف على أسلوب التطبيق والتوظيف التربوي داخل الصف، مما يستدعي تطويراً مستمراً يضمن تحقيق أهدافه التربوية في بناء شخصية متوازنة وواعية.

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our Master Muhammad, and upon all his Family and Companions until the Day of Judgment.

This study examines and analyzes the Islamic Education curriculum for the sixth preparatory grade (Grade 12), aiming to demonstrate the extent of its contribution to consolidating the concepts of profound faith (deep conviction) and positivity, as well as their subsequent impact on constructing the Muslim personality. Utilizing a descriptive - analytical approach, the study evaluates the curriculum's content and elucidates its educational dimensions. It focuses on defining the core concepts associated with the curriculum, Islamic education, and personality. Furthermore, it analyzes how the theme of profound faith is addressed within the textbook's topics and its role in forming a wholesome, well - adjusted personality, while also examining the concept of positivity and its behavioral and social implications for students. Additionally, the study seeks to highlight the educational dimension of the content, emphasizing its transformation into effective, practical behavior within the learning environment.

The study concludes that the Islamic Education curriculum possesses an influential pedagogical capacity for character - building and fostering positive behavior; however, its ultimate efficacy depends heavily on the methods of instructional application and educational utilization within the classroom. This necessitates continuous curriculum development to ensure the realization of its educational objectives in forging a balanced and conscious personality.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي أنار للبشرية طريق الهداية بوحيه، وجعل التربية القويمة أساساً لبناء الإنسان. والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه الكرام الذين جسّدوا القيم الإسلامية في فكرهم وسلوكهم. أمّا بعد؛

فتُعَدُّ التربية الإسلامية من أهم الوسائل التي تعتمد عليها الأمة في ترسيخ هويتها الحضارية وصيانة مقوماتها الفكرية والأخلاقية؛ إذ لا يقتصر دورها على نقل المعارف والمعلومات، بل يمتد إلى بناء شخصية الإنسان بناءً متكاملاً في ضوء التصور الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وفي ظل التحديات الفكرية والثقافية المعاصرة وما تشهده المجتمعات من تحولات متسارعة تؤثر في منظومة القيم والسلوك، تبرز المناهج الدراسية بوصفها أداة تربوية فاعلة في تجسيد أهداف التربية الإسلامية وترجمة مبادئها إلى ممارسات واقعية. وتكتسب مرحلة الصف السادس الإعدادي أهمية خاصة؛ لكونها تمثل مرحلة مفصلية في تكوين شخصية الطالب، حيث يقترب فيها من النضج الفكري والوعي الاجتماعي، الأمر الذي يجعل المنهج الدراسي عاملاً أساسياً في إعداد جيل يمتلك الوعي والقيم والقدرة على التفاعل الإيجابي مع متطلبات العصر وتحدياته.

أهمية البحث:

١. الإسهام في تقويم أثر المناهج الإسلامية في بناء شخصية المتعلم وتعزيز القيم العقدية والسلوكية.

٢. تقويم فاعلية منهج التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي في ترسيخ قيم الإيمان والإيجابية.

٣. إبراز أهمية مرحلة الصف السادس الإعدادي في بناء شخصية الطالب وتعزيز وعيه الفكري والقيمي.

أسباب اختيار البحث:

١. التعرف إلى مدى أثر محتوى منهج التربية الإسلامية في توجيه سلوك الطلبة وترجمة المعرفة الدينية إلى ممارسات عملية.

٢. دراسة العلاقة بين المعارف الدينية والسلوك الإيجابي لدى الطلبة، وتقويم الدور التربوي والإرشادي للمنهج.

٣. الكشف عن جوانب القوة في منهج الصف السادس الإعدادي وتعزيزها، وتشخيص جوانب القصور –إن وجدت– بما يسهم في تطويره وتحقيق أهدافه التربوية.

أهداف البحث

١. تحديد المفاهيم الأساسية لكل من (المنهج، التربية الإسلامية، والشخصية) في السياق التربوي المعاصر.

٢. تحليل محتوى منهج التربية الإسلامية للصف السادس الإعدادي للكشف عن معالجة مفهوم الإيمان العميق وأثره في بناء الشخصية السوية.

٣. إبراز مضامين الإيجابية في المنهج وبيان انعكاساتها على سلوك الطالب في محيطه الاجتماعي والعملي.

٤. تقديم رؤية تقويمية تسهم في تعزيز الأثر التربوي للمناهج وتحويل محتواها إلى سلوك تطبيقي فاعل.

خطة البحث:

تقتضي طبيعة الدراسة المعمقة للموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وقد تم تقسيم البحث وفق هندسة منهجية تبدأ بمبحث تمهيدي يتناول التعريف بأهم مصطلحات البحث، وهي: مفهوم المنهج، ومفهوم التربية الإسلامية، ومفهوم الشخصية. ثم يأتي المبحث الأول المعنون ب(الإيمان العميق)، ويشمل ثلاثة مطالب: الأول يتناول تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً، والثاني يدرس الإيمان في ضوء ما ورد في المنهج وتحليل موضوعاته، والثالث يبين أثر الإيمان في تكوين الشخصية المسلمة.

ويليه المبحث الثاني الموسوم ب(الإيجابية)، ويتضمن أيضاً ثلاثة مطالب: الأول يتناول تعريف الإيجابية لغةً واصطلاحاً، والثاني يعالج الإيجابية في ضوء ما ورد في المنهج وتحليل موضوعاته، والثالث يوضح أثر الإيجابية في تكوين الشخصية المسلمة. وتأسيساً على ما تقدم، يأمل الباحث أن يسهم هذا العمل في إثراء الدراسات التربوية وإضافة قيمة علمية للمكتبة التربوية، بما يدعم تطوير المناهج التعليمية وتحقيق أهدافها في بناء الإنسان المسلم المعاصر، ومنه سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

المبحث التمهيدي: التعريف بأهم مصطلحات البحث

أولاً: مفهوم المنهج

المنهج لغةً: النهج يعني الطريق الواضح المستقيم الذي لا لبس فيه ولا غموض، فقد جاء في معجم (الصحاح): «النَهْجُ: الطريق الواضح، وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ. وأَنْهَجَ الطريقُ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّناً... ونَهَجْتُ الطريق، إذا أبنته وأوضحته، يقال: اعمل على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطريق أيضاً، إذا سلكته»).

«ويقال: مَنْهَجُ الطريقِ: وضَحُه، والمنهاج: كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وأنهَجَ الطريقُ: وضَحَ واستبانَ وصارَ نَهْجاً واضحاً بَيِّناً»).

ويوضّح ابن فارس بأنّ الجذر الثلاثي (ن ه ج) يدور على أصلين متباينين: «الْأَوَّلُ: النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ. وَالْآخَرُ: الِانْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فُلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفَسِ. وَضَرَبْتُ فُلَانًا حَتَّى أَنْهَجَ، أَيْ سَقَطَ»).

يتبيّن من مجموع هذه التعريفات اللغوية أنّ مفهوم «المنهج» يدور في جوهره حول معنى الطريق الواضح المستقيم الذي يقوم على البيان والظهور، سواء أكان ذلك في إيضاح السبيل أم في سلوكه. كما تكشف هذه الدلالات عن ارتباط المنهج بفكرة التنظيم والاهتداء، مما جعله أساساً مناسباً لانتقاله إلى المعنى الاصطلاحي، حيث أصبح يدلّ على الطريقة المنظّمة التي يسلكها الباحث للوصول إلى المعرفة وتحقيق الغاية العلمية المنشودة.

المنهج اصطلاحاً: تعددت آراء العلماء حول مفهوم المنهج، وقد عرف بعدة تعريفات، منها:

عرف بأنه: «الطريقُ المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته؛ حتى يصل إلى نتيجة معلومة»).

وعرف بأنه «الترتيب الصائب للعمليات العقلية، التي تقوم بها بصدد الكشف عن الحقيقة، والبرهنة عليها»).

وهو تنظيم وتخطيط لأنشطة المتعلمين بطريقة مقصودة، سواء كانت هذه الانشطة داخل المدرسة أو خارجها، وسواء كانت مرتبطة بجوانب تعليمية أو تدريبية).

يتكون المنهج من جميع الخبرات التي يحققها الأطفال تحت توجيه المدرسة، ويرى آخر بأنه جميع الخبرات التعليمية المخططة والموجهة من المدرسة لتحقيق الأهداف التعليمية).

ويُعرَّف المنهج بأنه الطريق المنظم والأسلوب العلمي الذي يُتَّبع للوصول إلى الهدف المنشود بأقصر الطرق وأسلمها، فهو فنّ التنظيم الصحيح للأفكار؛ بغية الكشف عن الحقيقة عند الجهل بها، أو البرهنة عليها والتحقق منها عند العلم بها).

غير أنّ تعريف المنهج بوصفه الطريق الواضح الميسّر، أو باعتباره جملةً من السنن والطرائق، يظلّ تعريفاً عاماً ذا طابع شمولي، يتّسع لمختلف مجالات الحياة ونشاطاتها، كَالزراعة والصناعة والتجارة والتربية وغيرها. ومن ثمّ، تبرز الحاجة إلى الانتقال من هذا الإطار العام إلى مستوى أكثر تخصّصاً، عبر تحديد مفهوم المنهج في ميدانه التربوي، بما يكشف عن خصوصيته ودلالاته في هذا المجال).

ويرى المتخصصون في المناهج أنّ المنهج التربوي هو «مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للتلاميذ بقصد تعديل سلوكهم وتحقيق الأهداف المنشودة»).

وعُرِّفَ منهج التربية بأنه «نظام متكامل من الحقائق والمعايير والقيم الثابتة، والخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية المتغيرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إلى المتعلمين فيها بقصد إيصالهم إلى مرتبة الكمال التي هيأهم الله لها، وتحقيق الأهداف المنشودة فيهم»).

وبناء على ما سبق، يمكن تعريف كلمة المنهج من الناحية الاصطلاحية، كالآتي: هو مجموعة منظمة من الخبرات والمعارف والأنشطة، التي تقدمها المدرسة للتلاميذ وفق أسس محددة؛ لتحقيق أهداف تربوية وتعليمية.

ثانياً: مفهوم التربية الإسلامية

لقد كثر الكلام في تعريف التربية الإسلامية، وتم تعريفها على النحو الآتي:

عرفت بأنها: «إعداد الفرد أو الكائن الإنساني لحياته في الدنيا والآخرة»).

وعرفت بأنها: «تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتي بها الإسلام، والتي ترسم عددًا من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكًا يتفق وعقيدة الإسلام»).

وعرفت بأنها: «الأسلوب الأمثل في التعامل مع الفطرة البشرية توجيهًا مباشرًا بالكلمة، وغير مباشر بالقدوة، وفق منهج خاص ووسائل خاصة لإحداث تغيير في الإنسان نحو الأفضل والأحسن»).

وبأنها «عملية يؤخذ فيها الناشئون من أبناء الأمة الإسلامية بألوان من الأنشطة الموجهة

في ظل القيم والمثاليات والمبادئ الإسلامية؛ لتعديل سلوكهم، وبناء شخصياتهم على النحو الذي يجعل منهم أفرادًا صالحين نافعين لدينهم، وأنفسهم، ووطنهم، وأمتهم الإسلامية، والبشرية كلها»).

وعُرِّفَتْ بأنها: «تنشئة الإنسان شيئاً فشيئاً في جميع جوانبه، بغية سعادة الدارَين، وفق المنهج الإسلامي»).

وقيل: «هي تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية والعاطفية والجسدية والاجتماعية، وتنظيم سلوكها على أساس من مبادئ الإسلام وتعاليمه بغرض أهداف الإسلام في شتّى مجالات الحياة»).

والتربية الإسلامية «ذات طابع شمولي تكاملي لجميع جوانب الشخصية الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والجسمية والاجتماعية والإنسانية، وفق معيار الاعتدال والاتّزان»).

وعليه، يمكن تعريف التربية الإسلامية بأنها هي: عملية تربوية مقصودة ومنظمة، تهدف إلى تنمية الإنسان تنميةً متكاملة ومتوازنة في جميع جوانبه، وفق مبادئ الإسلام وقيمه؛ لإعداد شخصية صالحة في الدنيا والآخرة.

وبناء على ما سبق، يمكن القول بأن مناهج التربية الإسلامية في المرحلة الإعدادية: هي منظومة تربوية متكاملة تضم المعارف والقيم والمبادئ والأنشطة التعليمية المستمدة من الشريعة الإسلامية، وتُقدَّم للطلبة بصورة منظمة؛ بقصد بناء شخصياتهم فكريًا وسلوكيًا وروحيًا، وتنمية معارفهم ومهاراتهم بما يحقق الأهداف التربوية المنشودة.

ثالثاً: مفهوم الشخصية

الشخصية لغةً: مشتقة من مادة (ش خ ص)، وهو أصل واحد يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ فِي شَيْءٍ، فالشَّخْص: كلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، والمرادُ بِهِ إثباتُ الذَّاتِ فاسْتُعير لَهَا لفظُ الشَّخْصِ، والشخص أيضاً: سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والشخص مُذَكَّرٌ مفرد، وَالْجَمْعُ أَشْخاصٌ وشُخُوصٌ وشِخاص، والشُّخوص يعني: السير من بلد إلى بلد، فَيُقَالُ: شَخَصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، أي: سار إليه).

وعليه فالشخصية لغةً تدلّ على الظهور والارتفاع والتمايز؛ إذ تشير إلى ذات الإنسان وهيئته الظاهرة التي تُرى وتُميَّز عن غيرها، كما ترتبط بمعنى الحركة والانتقال (الشخوص)، فالشخصية في أصلها اللغوي تعني الذات القائمة المتميزة بوجودها الظاهر وكيانها المستقل.

والشخصية اصطلاحاً: عرفت بأنها: «التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الأنظمة النفسية - الجسمية التي تحدد توافقه الفريد مع بيئته»).

وعرفت بأنّها: «مجموعة السمات أو الخصائص الثابتة نسبيًا التي تميز الفرد عن غيره وتحدد أنماط سلوكه المختلفة»).

وبوصفها بناء نفسي متكامل تعرف الشخصية بأنّها: «نظام متكامل من الدوافع والانفعالات والعادات والاتجاهات التي تتفاعل فيما بينها لتحدد سلوك الفرد(د).

ومن المنظور السلوكي تعرف بأنه: «مجموعة من أنماط السلوك المتعلمة التي يكتسبها الفرد من خلال تفاعله مع البيئة»).

ومن المنظور الإسلامي عرفت بأنها: «مجموع الصفات والخصائص التي تتكون في الإنسان نتيجة تربيته على العقيدة والقيم والسلوك، بما يوجه تصرفاته في الحياة»).

فهي نظام متكامل من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية، التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد، وتتمثل في مجموعة من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبيًا، والتي يتحدد بمقتضاها أسلوب تكيفه مع البيئة المادية والاجتماعية).

وعليه فالشخصية هي: بناء متكامل يتكون من مجموعة من السمات والخصائص النفسية والجسمية، وينشأ من تفاعل العوامل الوراثية والبيئية، ويظهر في سلوك الفرد وطريقة تفكيره وانفعالاته، مما يميّزه عن غيره.

المبحث الأول: الإيمان العميق

يختص هذا المبحث بالحديث عن الإيمان العميق الذي يُعدّ أساسًا راسخًا في بناء الشخصية المسلمة؛ إذ يبعث في النفس الطمأنينة، ويُوجِّه السلوك نحو الالتزام بأوامر الله تعالى، بما يُسهم في تكوين شخصيةٍ متوازنةٍ، وإغناء البحث فيه يقتضي تقسيمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً

الإيمانُ لغةً: التصديقُ، وهو (إفعالٌ) من الأمْنِ الذي هو الإقرارُ والطُّمَأنينةُ، وذلك إنما يحصُلُ إذا استقرَّ في القَلْبِ التصديقُ والانقياد). وعرف الإيمان بأنه: أصلُ الأَمْنِ وطُمأنينةُ النَّفسِ وزوالُ الخَوفِ) كما عرف الإيمان بأنه: الثقة، وإظهار الخضوع).

الإيمان في الاصطلاح هو: التصديقُ الجازم بكل ما أخبَر به اللهُ ورسولُه مع الإقرارِ والطمأنينة، والقَبول والانقياد له). فالإيمان هو: تصديقُ القلبِ وإذعانُه وقَبوله بِكُلّ ما جاء به النّبي ﷺ، وجعل الله - تعالى - الشّهادتين العلامة الظَّاهرة التي تدُلُّ عليه؛ لإجراء أحكام الإسلام على الشَّخص المؤمن، كالصَّلاة عليه وصحة التَّوارث منه وله وغيرها من الأحكام).

يقول الشريف الجرجاني في تعريف الإيمان: «الإيمان: في الشرع: هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان. وقيل: من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق، ومن شهد ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخل بالشهادة فهو كافر، والإيمان على خمسة أوجه: إيمان مطبوع، وإيمان مقبول، وإيمان معصوم، وإيمان موقوف، وإيمان مردود، فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف، هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود، هو إيمان المنافقين»).

وعرفه ابنُ تيميَّةَ: اشتقاقُه من الأمنِ الذي هو القَرارُ والطُّمَأنينةُ، وذلك إنما يحصُلُ إذا استقرَّ في القَلْبِ التصديقُ والانقيادُ).

يتبيّن من خلال التعريفات السابقة أنّ الإيمان يجمع بين التصديق القلبي والاطمئنان الباطني، والإقرار اللساني والانقياد العملي، فهو بهذا المفهوم يتجاوز المعنى اللغوي المقتصر على التصديق ليشمل في الاصطلاح الشرعي أبعادًا عقدية وسلوكية تجعل الإيمان منظومة متكاملة، من: الاعتقاد والقول والعمل.

المطلب الثاني: الإيمان على ضوء ما ورد في المنهج وتحليل موضوعاته

ورد ذكر الإيمان في مناهج التربية الإسلامية في مستهل القسم الأول، فجاء بعنوان (معرفة الإيمان والعقيدة))، وجاء الدرس الأول بعنوان (الإيمان ومعنى الحياة)، فذكر أنّ حاجة البشر الأولى للإيمان والدين نابعة من التصور البشري حيث أنّه لا ينفكّ من طبيعته قط، فلا هناك حاجة كبيرة لبذل الجهد لكي يتضح لنا أنّ المرء لا يمكنه الضبط والسيطرة على بعض الأوضاع والأحوال اللاإرادية، ممّا يدفعه للشعور بالضيق والحرمان والإصابة باليأس وعدم الراحة والخوف أحياناً، فتشتد الحاجة للإيمان).

وفي هذا السياق، فإن للإيمان بالله تعالى آثاراً تربويةً عظيمةً تسهم في تكوين الشخصية الإسلامية وتوجيهها توجيهاً إيجابياً، وتتفاوت هذه الآثار تبعاً لقوة الإيمان الراسخة في قلب

الإنسان، ومن أبرز هذه الآثار ما يورثه الإيمان في النفس من الطمأنينة والرجاء؛ إذ يشعر المؤمن بالقرب من الله تعالى، ويوقن بأنه يجيب دعوة الداعين ويتوب على التائبين وينصف المظلومين، وقد وسعت رحمته كل شيء. ومن ثم يتحقق في نفس المؤمن توازن دقيق بين الخوف والرجاء؛ فهو يخاف من تقصيره في حق الله، ويرجو رحمته ومغفرته إذا أخطأ، الأمر الذي يبعث في نفسه الطمأنينة ويبعدها عن اليأس والاضطراب).

يُمثّل الإيمان النعمة الأسمى والمنحة الأجلّ في حياة المسلم؛ إذ به تزكو الأيام وتبارك الأرزاق، وتتحقق الرفعة في الدارين، وضمان الفوز بالآخرة. فالإيمان هو جوهر الحياة الحقيقية ومبتدأ السعادة الأبدية، وهي حقيقة ذوقية وجدانية لا يدرك كنهها إلا من تغلغل الإيمان في قلبه وعاش في رحابه. وهو نور رباني قذفه الله سبحانه في قلوب من ارتضاهم من عباده، ويصرفه بحكمته عمن يشاء، كما دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، وبناءً على ذلك، يغدو الإيمان فضلًا إلهيًا ومكرمة يختص الله بها عباده الصادقين برحمته الواسعة، فمن أُعطي الإيمان فقد حيز له الخير بحذافيره، ومن حُرمه فقد خسر كل شيء، ولم تغنِ عنه الدنيا وما فيها شيئاً).

تتجلى ثمرات الإيمان في حياة العبد الدنيوية؛ حيث يبدو أثره واضحاً جلياً على أهل الطاعة والفضل، فيسمو بقيمهم، ويزكي أخلاقهم، ويوجه سلوكهم نحو الصلاح. ولا تقتصر بركة الإيمان على العاجلة، بل يمتد نفعها العظيم إلى يوم الحساب؛ يوم الحسرة والندامة الذي لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ففي الوقت الذي يخسر فيه الكافرون أنفسهم وأهليهم وما جمعوا في الدنيا، يستقبل المؤمنون جزاء ثباتهم، ليتبوؤوا منازلهم الرفيعة في جنات الخلد، آمنين مطمئنين، وخالدين فيها أبداً)، قال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

كما وأشار المنهج إلى أنّ المرء يحس بالوحدة والخوف من الموت وعدم تحقيق الأهداف والأمنيات وفقد الأحبة والإصابة بكثير من البلايا من مرض وأذى وكل هذا مدعاة لإعطاء المعنى للحياة بأبعادها الحلوة والمرة كي لا يخيب الإنسان ويعبر بها إلى شاطئ الأمان والابتعاد عن اليأس، وهذا هو ثمر الإيمان وحلاوته، والإيمان يُعَلِّمُنا، وكذلك الإسلام كدين بأن نغتنم الآلام فرصة للتمعن والتعمق في فهم الحياة وتزكية النفوس والتقرب إلى الله والشعور بأنّه ليست كل

المصاعب والأمراض شراً، إنّما فيها الخير والأجر والشفاء من الله تعالى): ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وانطلاقاً من هذا الفهم الإيماني للحياة، ينشأ في نفس المؤمن الشعور بالعزة والكرامة؛ إذ يدرك أن عزته الحقيقية نابعة من إيمانه بالله تعالى، فيتحرر من الخضوع لغيره، ولا يرضى بالذل أو التبعية لغير خالقه. فالإيمان يملأ نفس المؤمن بالإباء والشموخ، ويجعله يشعر بكرامته الإنسانية التي وهبها الله له، كما يؤهله للقيام بدوره في عمارة الأرض وتحمل مسؤولية الاستخلاف فيها. ولذلك تنعكس هذه العزة في سلوك المؤمن وأقواله وأفعاله، فتظهر عليه سمات الكرامة والثبات والطمأنينة).

وجاء الحديث عن الإيمان في المنهج لبيان أثره في حياة الإنسان، فإذا استقر في القلب منح صاحبه التفاؤل والوعي والحيوية، ودفعه على العمل والاجتهاد والإبداع، كما يبعثه على استغلال الحياة في الخير وخدمة المجتمع، ويرتبط الإيمان بالإيجابية من خلال إزالة السلوكيات السلبية والأخذ بالأسباب والسعي الجاد نحو الصلاح).

ومن أبرز الثمار التربوية التي يحققها الإيمان في حياة الفرد الثبات على المبدأ؛ إذ إن الإنسان قد يتعرض في حياته لكثير من الصعوبات والابتلاءات، مثل الفقر وقلة ذات اليد، أو الاضطهاد والعداوات وتكالب الخصوم. وفي مثل هذه المواقف يختلف الناس في مواقفهم؛ فمنهم من يصبر ويثبت على مبادئه وقيمه الإسلامية، ومنهم من يضعف وينهار أمام تلك التحديات فيقصّر في التزامه الديني. وبقدر قوة الإيمان الراسخة في قلب الإنسان يكون ثباته على الحق، وتمسكه بمبدأ الصدق، وصبره على أداء العبادات، وثباته في نصرة الحق والابتعاد عن الشر، مما يجعله قادراً على مواجهة الشدائد بثبات وعزيمة).

وذُكر أنّ الإيمان يقوم على ثلاثة أصول مترابطة، أولاً: النطق بالشهادتين. ثانياً: قول القلب، المتمثل في العلم والتصديق التام بما أخبر به الرسول ﷺ عن الله تعالى. ثالثاً: عمل القلب، الذي يشمل قبول التوحيد، والبراءة من نقيضه، والمحبة لله ورسوله ولدينه، والعزم على الانقياد لهما. وعليه، فإن مجرد تحقق هذه الأصول يضع العبد على الطريق نحو تكامل إيمانه، فلا ينال الأمن في الدنيا ولا في الآخرة إلا باتباعها، ومع الالتزام بالطاعات واجتناب المحرمات، يستكمل المرء عُرى الإيمان ويبلغ مرتبة المعتدلين في اعتقادهم وسلوكهم).

وقد أظهرت نصوص الكتاب والسنة أن الإيمان يقوم على ستة أصول، هي: الإيمان بالله،

وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وقد ورد ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن متعددة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب المشهور بحديث جبريل، أنَّ جبريل سأل النبي ﷺ قائلاً: أخبرني عن الإيمان، فقال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))).

فالإيمان هو التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب، واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب، وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله؛ ولهذا كان الأئمة والسلف يقولون: «الإيمان: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وهو: قول، وعمل، واعتقاد، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهو يشمل عقائد الإيمان، وأخلاقه، وأعماله»).

ومن هذا المنطلق يُعدّ الإيمان بالله أعظم دافع يدفع الإنسان نحو التكامل في حياته الدنيوية والأخروية، إذ يغرس في نفسه روح الإحسان التي تمثل تجلياً عملياً وسلوكياً لحقيقة الإيمان. فكلما ازداد إيمان الإنسان تعمق إحسانه في التعامل مع نفسه ومع الآخرين؛ لأن المؤمن يدرك أن الإحسان ثمرة من ثمرات الإيمان الصادق وأحد مظاهره العملية. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع متعددة، ومن ذلك ما ورد في وصف نبي الله نوح (عليه السلام) بعد ذكر إحسانه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ٨١] في دلالة على أن الإيمان أصل كل فضيلة ومنبع كل خير. كما أن المؤمن لا يتردد في البذل والإنفاق في سبيل الله، لأنه يوقن بأن ما يقدمه من خير سيعود عليه أضعافاً مضاعفة، وأن مستقبله في الدنيا والآخرة مرتبط بما يقدمه من عمل صالح وتضحيات، ومن ثم فإن الطريق إلى الإحسان، وما يترتب عليه من الثواب العظيم، إنما يبدأ من الإيمان بالله تعالى واليقين بجزائه الأوفى).

وبناءً على ذلك يتضح، أن الإيمان في المنهج لا يُعرض بوصفه مفهوماً نظرياً مجرداً، بل بوصفه منظومة متكاملة تجمع بين الاعتقاد والسلوك، وتربط بين العقيدة والعمل. فالإيمان الصحيح يوجّه الإنسان إلى فهم الحياة فهماً متوازناً، ويجعله قادراً على التعامل مع ما يواجهه من تحديات وآلام بروح إيجابية قائمة على الثقة بالله تعالى. كما يسهم في بناء شخصية متوازنة

تجمع بين قوة الاعتقاد وصلاح السلوك، وهو ما ينسجم مع الهدف التربوي الذي يسعى إليه المنهج في تنمية الوعي الديني والأخلاقي لدى الطلبة.

المطلب الثالث: تأثير الإيمان على تكوين الشخصية المسلمة

يعدُّ الإيمان بالله تعالى الرّكن الأساس في بناء الشَّخصيَّة المسلمة، كونه يُشكّل القاعدة الفكريّة التي يبني عليها الإنسان تصوراتِهِ وأفكاره وتصديقاته عن الوجود، والخالق، وعلاقة الخالق بالمخلوق، وبالإيمان بالله كذلك؛ يُكوِّن الإنسانُ مفاهيمه عن الأشياء، تلك المفاهيم التي تتحكم بمشاعره وتنظم سلوكه).

يمثل الإيمان العميق حجر الزاوية في بناء شخصية المسلم، إذ يُعد الأساس الذي تنبثق منه سائر الصفات والسلوكيات الإسلامية، فالإيمان بالله وما يتفرع عنه من معتقدات راسخة يُعطي الإنسان طاقة داخلية مستقرة، ويشكّل منبعًا للأمن النفسي والتوازن السلوكي، مما ينعكس على رؤيته للكون والحياة والناس من حوله)، وقد أكّد القرآن الكريم في مواضع عدة على أن الإيمان العميق هو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، يُوجّه هذا النداء الإلهي إلى من تحقَّق فيهم الإيمان بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، فخاطبهم الله بوصف الإيمان، داعيًا إيّاهم إلى الثبات عليه، وتعزيزه، وبلوغه درجة اليقين. كما يشمل النداء المنافقين، الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وكانوا كُثرًا في المدينة عند نزول سورة النساء، فأُمروا بالإيمان الحقّ الشامل للإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر. فهذا النداء - برحمة إلهية - دعوة صادقة للإيمان الصادق الذي يُنجي ويُسعد).

وإنَّ للإيمان بالله تعالى آثارًا تربوية عميقة تسهم في بناء شخصية المسلم وتوجيه سلوكه، إذ يمنح الإنسان الثبات على المبادئ في مواجهة الشدائد والابتلاءات، ويغرس في نفسه الشجاعة والجرأة لأنه يوقن أن الحياة والموت بيد الله وحده. كما يورث الإيمان شعور العزة والكرامة فيحرر الإنسان من الخضوع لغير الله، ويبعث في قلبه الطمأنينة والرجاء مع السعي والعمل وعدم التواكل. ويصبغ الإيمان حياة المسلم بالصبغة الربانية، فيؤدي أعماله بنية صادقة ابتغاء مرضاة الله، مما يدفعه إلى الإتقان والإحسان في عمله. كذلك يقوي الإرادة ويعين على مجاهدة النفس والالتزام

بحدود الله، ويهذبها بالعبادات التي تعودها الانضباط وترك المألوفات. وبذلك يمنح الإيمان الإنسان حريةً حقيقية قائمة على المسؤولية والوعي، فيعيش حياة متوازنة تجمع بين قوة العقيدة وصلاح السلوك).

وعليه يظهر أن القرآن الكريم كثيرًا ما يخاطب الذين (آمنوا) بأوامر ونواهٍ، ما يدل على أن الإيمان هو أصل الإصلاح الفردي والمجتمعي، وأن أي تربية حقيقية تبدأ بتعزيز هذا الإيمان في النفس، ليكون محركًا للسلوك ومصدرًا للثبات، وأن غرس الإيمان العميق في نفوس الطلاب في المراحل الإعدادية، خاصة في بيئات مليئة بالتحديات والانفتاح الثقافي، هو ضرورة تربوية وأمنية وفكرية، تسهم في حمايتهم من الانحراف، وتُوجه طاقاتهم نحو البناء والعطاء، وتُسهم في تشكيل شخصية إسلامية متكاملة تجمع بين الفكرة الصحيحة والسلوك القويم.

ويتضح أن الإيمان العميق ليس مجرد اعتقاد نظري أو ترديد لعبارات عقدية، بل هو قوة داخلية راسخة تؤسس لبناء شخصية متزنة، ثابتة، وفاعلة في محيطها. فكلما كان الإيمان أعمق، كان الأثر في السلوك أوضح، وكانت استجابة المسلم لمقتضيات الشريعة أقوى وأدوم. فالإيمان بالله ليس كلمة ينطق بها اللسان، ولا هو مجرد تصوُّر فلسفي لعلاقة الإنسان بالخالق وإنَّما ثورة تحرُّريَّة شاملة للفكر والوجدان، تنظم حياة الإنسان النّفسية، وتوحّد نوازعه، وتفكيره وأهدافه، وتجعل كلّ عواطفه، وسلوكاته، وعاداته، قوًى متضافرة، متعاونة ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده.

المبحث الثاني: الإيجابية

يختص هذا المبحث بالحديث عن الإيجابية بوصفها سمةً أساسيةً من سمات الشخصية المسلمة؛ إذ تنمّي روح المبادرة والعطاء لدى الفرد، مما ينعكس إيجابًا على سلوكه وعلاقاته، ويسهم في تكوين شخصيةٍ واعيةٍ ومتوازنة. وإغناء البحث فيه يقتضي تقسيمه على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإيجابية لغةً واصطلاحاً

الإيجابية لغة هي كلمة مشتقة من الإيجاب الذي هو بمعنى الموافقة والقبول والإلزام والتحمّل، يقال: «وجب الشيءُ يَجِبُ وُجوباً إذا ثَبَتَ، ولزم»)، ويقال: «وجبَ البيعُ يَجِبُ وجوباً، وأوجَبَهُ

إيجاباً؛ أي لزم وألزمَهُ، واستوجب الشيء: استحقه، وأوجَبَ الرجلُ إذا عمل عملاً يُوجِبُ له الجنة أو النار»).

والإيجابية اسم منسوب إلى إيجابي، عكسُهُ سلبي، يقال: رجلٌ إيجابيٌّ في مشاريعه، أي: يتخذ خطوات إيجابية لحفظ السلام، والإيجابية مصدر صناعي من إيجاب، وهو كل ما يصدر من أمور ناجحة ومقبولة وموفقة).

واصطلاحاً تعرف الإيجابية بأنها «إيجاب المرء على نفسه ما ليس بواجب ابتداءً لما عنده من هِمّة عالية ورغبة عالية في البذل والعطاء»).

وتعرف أيضاً بأنها «التزام الإنسان بالمبادرة إلى النفع في محيط تأثيره، وذلك بتفعيل مقدراته وخصائصه الفكرية والروحية والسلوكية بما يتلاءم مع مقتضيات الإيمان ويقصد التغيير المفضي إلى الخيرية العامة»).

كما تعرف بأنها «اندفاع الإنسان الناشئ عن استقرار الإيمان في قلبه، لتكييف الواقع الذي من حوله، وتغييره وتبديله إلى الأفضل، وهي الحافز الذي يدفع بطاقة الإنسان لأداء عمل معين للوصول إلى غاية محدّدة محتملاً كافة الصِعاب لتحقيق هدفه الأسمى»).

والإيجابية هي المحافظة على التوازن السليم في إدراك مختلف المشكلات، وهي أسلوب متكامل في الحياة، ويعني التركيز على الإيجابيات في أيِّ موقف بدلاً من التركيز على السلبيات، وإنه يعني أن تُحسِنَ ظَنَّكَ بذاتك، وأنْ تظن خيراً في الآخرين، وأن تتبنّى الأسلوب الأمثل في الحياة).

هذا وتعرف الإيجابية بأنها قدرة الإنسان على المحافظة على التوازن السليم في إدراك المشكلات والتعامل معها بوعي وحكمة. وهي ليست مجرد حالة عابرة، بل أسلوب متكامل في الحياة يقوم على التركيز على الجوانب المضيئة في المواقف المختلفة بدلاً من الانشغال بالسلبيات. كما تقتضي الإيجابية أن يُحسن الإنسان الظن بنفسه وبالآخرين، وأن يتبنّى منهجاً معتدلاً في التفكير والسلوك، الأمر الذي يسهم في بناء شخصية مسلمة قادرة على مواجهة التحديات بروح متفائلة وإرادة فاعلة).

يتضح مما سبق أنّ الإيجابية في اللغة تدور حول معاني الموافقة والقبول والإلـزام والعمل المنتج، أمّا في الاصطلاح فهي تمثل سلوكًا إراديًا واعيًا يقوم على المبادرة والبذل والعطاء، وتفعيل الطاقات في سبيل الخير العام، بما يضمن التوازن في النظر إلى الذات والآخرين والحياة.

المطلب الثاني: الإيجابية على ضوء ما ورد في المنهج وتحليل موضوعاته

ورد ذكر الإيجابية في مناهج التربية الإسلامية بعنوان (الإيمان والإيجابية أو التفاؤل في الحياة)، وذكر أنّ الإيجابية يُقصد بها «الفاعلية والشعور بالمسؤولية والنظرة التفاؤلية للحياة والتفاعل معها، وكذلك العمل على تحقيق الهدف من الحياة، وعكسه هو السلبية والتشاؤم والتقصير والتهرب من المسؤولية فالانهزام من ساحة العمل ثم الفشل»).

تّضح من خلال ما عرضته مناهج التربية الإسلامية وما ورد في النصوص الشرعية أن قيمة الإيجابية ليست مجرد توجّه نفسي أو نظرة تفاؤلية مجرّدة، بل هي سلوك عملي ينبثق من الإيمان ويترجم في واقع الحياة إلى فاعلية ومسؤولية وعمل هادف. فالمنهج التربوي حين عرّف الإيجابية بأنها الفاعلية والشعور بالمسؤولية والتفاعل مع الحياة بروح التفاؤل، إنما يربطها بمقاصد عليا تتمثل في تحقيق غاية الإنسان في الاستخلاف والإعمار، وهو ما تؤكده النصوص القرآنية والنبوية التي تحث على الأمل وعدم الاستسلام لليأس)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وما ورد في الحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء))، وفي هذا التوجيه النبوي، دعوة صريحة ومباشرة لصناعة الأمل وفتح آفاق الرجاء، حيث يربط الله تعالى جزاءه وعطاءه بنوعية الظن الذي يسكن القلب).

وكذلك يشير منهج التربية الإسلامية إلى أنّ الإيمان إذا دخل «واستقر في القلب، سوف يجعل صاحبه ذا وعيٍ وحيوية وتفاؤل، ويترك هذا القلبُ التشاؤمَ والاتكالَ، أو يضعف فيه، بل يشجعه إيمانه على العمل والعطاء والإبداع والجهد والاجتهاد»).

يومئ هذا النص إلى أنّ الإيمان إذا استقر في القلب سيمنحه الطمأنينة والتفاؤل، وهذا الكلام يحيلنا إلى تعريف ابن تيمية للإيمان إذ قال: «فإنّ اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد»).

والإيمان مكانه القلب وليس العقل، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]، والقلب هو مركز الإرادة داخل الإنسان، وهو الملك على الجسد كله وما من فعل أو سلوك إرادي نقوم به إلا ويأخذ الأمر بالتنفيذ من القلب).

ويتطرق المنهج إلى ذكر الارتباط الوثيق بين الإيمان والإسلام من جهة، وبين التفاؤل والإيجابية في الحياة من جهة أخرى، وذلك من بُعدَين، الأول: «من حيث إزالة الأفكار والسلوك والأفعال

التي لا تنسجم والنظرة الإيجابية للحياة، بل ينبغي مقاومتها والوقوف بوجهها ودفعها، والثاني: الأخذ بالأسباب والعوامل التي تدفعنا إلى النظرة الإيجابية في الحياة والتي يؤكد عليها الإسلام ويلتزم بها»).

وفي هذا السياق يُعدّ التفاؤل قوة نفسية راسخة تعصم الإنسان من الانهيار أمام الأزمات والشدائد، وتمنحه القدرة على تجاوز العقبات بثبات وإيجابية؛ فالمتفائل لا يعرف اليأس أو القنوط، بل يظل متجدداً في عطائه، منفتحاً على الآراء والأفكار، منتقياً أفضلها بروح مبدعة. ويستند هذا التفاؤل في أساسه إلى الإيمان العميق بالله تعالى والثقة برحمته، إذ يدرك المؤمن أن القنوط واليأس لا ينسجمان مع حقيقة الإيمان، وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بوضوح في قوله تعالى على لسان نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ومن ثمّ فإن التفاؤل بهذا المعنى يبعث في نفس صاحبه الطمأنينة والبهجة ويكسبه محبة الآخرين، وهو ما يتفق مع الهدي النبوي؛ إذ كان النبي ﷺ يحب الفأل) الحسن ويكره الطِّيرة)).

ومن ثمّ يتناول المنهج عوامل النظرة الإيجابية في حياة الإنسان، فيشير إلى جملة من العوامل التي تعوق تحققها وتؤثر سلباً في سلوك الفرد، مثل التردد والاهتزاز القلبي، واليأس الذي يقود إلى الفشل والاستسلام، فضلاً عن الكسل والتكاسل اللذين يؤديان إلى الفقر والإخفاق، وكذلك الخجل الذي قد يعيق الإنسان عن المواجهة وتحقيق النجاح، والتسويف وتأخير العمل بما يضعف الشعور بالمسؤولية ويؤدي إلى ضياع الفرص. وفي مقابل هذه العوامل السلبية يرسخ المنهج قيمة الإيجابية في شخصية المؤمن، إذ يتحلى بالصبر والثبات ويواصل السعي والعمل حتى يحقق النجاح ويبلغ أهدافه).

وفي هذا السياق يُجسّد التفاؤل حالة من الرضا بقضاء الله وقدره، والاطمئنان إلى حكمته، الأمر الذي يبعث في النفس السكينة ويمنح الحياة معناها الحقيقي وروحها الإيجابية. ومن هذا المنطلق تتأكد أهمية الدور التربوي والإعلامي في ترسيخ ثقافة التفاؤل داخل المجتمع، والتنبيه إلى مخاطر اليأس والقنوط اللذين يضعفان العزيمة ويقوضان الآمال؛ فالمتشائم يعجز عن صناعة المستقبل أو مواجهة تحديات الحياة لافتقاره إلى نورٍ يهديه إلى الطريق، في حين أن المتفائل يستمد من إيمانه بالله قوة روحية تبعث فيه الأمل، وتضيء بنور قلبه وبصيرته دروب العطاء والإبداع).

كما يتناول المنهج دوافع النظرة الإيجابية في الحياة، مبيناً أن الغاية من خلق الكون والحياة ترتبط بدور الإنسان الذي اختاره الله تعالى ليكون عنصراً فاعلاً في إعمار الأرض وتحقيق مقاصد الاستخلاف فيها. ومن هذا المنطلق يُدعى الإنسان إلى التفاعل مع الحياة بروح إيجابية تسعى إلى تحقيق الخير والتقدم والازدهار، وهو ما يتطلب همة عالية وبذل الجهد والعمل الدؤوب. ويغرس هذا التصور في نفس المؤمن روح الحركة والأمل والتفاؤل، فيصبح أكثر قدرة على مواجهة التحديات والسعي نحو تحقيق أهدافه في إطار من الإيمان والعمل الصالح).

وفي ضوء ذلك تتشكل الشخصية الإيجابية التي تُعدّ من أهم ثمار هذا التصور الإيماني للحياة؛ إذ يتصف صاحبها بالقدرة على التفكير السليم، وحسن الإصغاء، والتنظيم في العمل، مما يجعله شخصية منتجة وقادرة على أداء الأدوار القيادية والاجتماعية والتأثير في الآخرين). كما تتميز هذه الشخصية بعدد من الركائز الأساسية، من أبرزها قوة الأنا، والاتزان الانفعالي، والتوكيدية، وتقدير الذات، وإضفاء معنى للحياة، فضلاً عن القدرة على الإبداع، وهي جميعها عناصر تسهم في بناء شخصية متوازنة قادرة على الإسهام الفاعل في المجتمع).

هذا، وإن التربية الإسلامية من خلال مصدريها الأساسيين؛ القرآن والسنة، تهتم بالبناء الفكري الإيجابي في كل نصوصها؛ وذلك لأن العقل عليه مدار التكليف والأحكام الشرعية ثبوتًا وعدمًا؛ لذا كان الخطاب القرآني موجهًا إليه مباشرة؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ [الغاشية: ١٧]، وغير ذلك؛ فالعقل هو الآلة المادية للتفكير، وفيه تتولد قدرة الإنسان على التصور وعلى التعبير، وكذلك على فهم المعاني والاستجابة للتعليمات؛ ولذا رفع الشارع القلم عن ثلاثة)؛ كما ورد في الحديث، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((رُفِعَ الْقَلَمُ عن ثَلاثَةٍ: عن الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ على عَقْلِهِ حتى يُفِيقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حتى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حتى يَحْتَلِمَ)).

يتبيّن مما سبق أنّ الإيجابية في المنهج التربوي تُعدّ قيمة أصيلة مرتبطة بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، إذ تجعل الإنسان أكثر وعياً وحيويةً وتفاؤلاً، وتدفعه إلى العمل والبذل والإبداع، بعيداً عن مظاهر اليأس والاتكال. فالمؤمن الإيجابي ينظر إلى الحياة بروحٍ متفائلةٍ تستند إلى الثقة بالله تعالى، مما ينعكس على سلوكه الفردي والجماعي في صورة عطاءٍ متجدد وقدرة على مواجهة التحديات وصناعة المستقبل.

المطلب الثالث: تأثير الإيجابية على تكوين الشخصية المسلمة

تُعدّ الإيجابية من السمات الأساسية في تكوين الشخصية المسلمة، إذ يدعو الإسلام إلى تحمّل المسؤولية، والمبادرة إلى الخير، وصناعة الأثر النافع في النفس والمجتمع. فالمسلم الإيجابي لا يعيش في عزلة عن قضايا أمته ولا يقف موقف المتفرج من التحديات التي تحيط به، بل ينهض بما يستطيع من عمل صالح، ويواجه العقبات بالأمل والعمل، وقد ركّزت النصوص الشرعية على غرس روح الإيجابية في قلب المسلم، كما في حديث النبي ﷺ: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا))، فيه دلالة واضحة على أن العمل الإيجابي لا يرتبط بظروف الحياة وإنما هو منهج مستمر مهما اشتدت المحن).

ويتجلى أثر الإيجابية في تكوين الشخصية المسلمة من خلال التوجيهات النبوية التي تحثّ المسلم على التحلي بالأخلاق الحسنة، وتجنّب السلوكيات السلبية التي تتنافى مع كمال الإيمان. فقد نبّه النبي ﷺ أصحابه إلى خطورة بعض التصرفات التي تُضعف حقيقة الانتماء إلى الهوية الإيمانية، كما في قوله ﷺ: ((واللهِ لا يؤمن، واللهِ لا يؤمن، واللهِ لا يؤمن))، قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((الذي لا يأمن جارُه بوائقه))). ويُفهم من هذا التوجيه النبوي أن الإيمان الحق يقتضي سلوكاً إيجابياً يعكس القيم الإسلامية في التعامل مع الآخرين، ويعزّز روح الأمن والطمأنينة في المجتمع.

كما يدعو الإسلام المسلم إلى ترسيخ التوقع الإيجابي في نفسه، مقروناً بحسن الظن بالله تعالى، مهما اشتدت الظروف وأحاطت به الصعوبات التي قد تبدو خالية من بوادر الفرج. فالإيجابية في التفكير وحسن الظن ليست مجرد خيار شخصي، بل هي منهج تربوي يغرسه الإسلام في نفوس أتباعه. وقد قدّم النبي ﷺ أروع نموذج عملي لهذا المعنى؛ فعلى الرغم من تكذيب الناس له ورفضهم لدعوته في بدايات الرسالة، لم يدفعه ذلك إلى اليأس أو سوء الظن بالمستقبل، بل ظلّ واثقاً بربه، متفائلاً بنصر الله وانتشار دعوته. وقد تحققت هذه الرؤية الإيجابية مع مرور الزمن، لتغدو مثالاً خالداً في الصبر والأمل واليقين، ودليلاً على الدور الكبير الذي تؤديه الإيجابية في بناء الشخصية المسلمة المتوازنة والقادرة على مواجهة التحديات).

وتُعَدّ الشخصية المسلمة بطبيعتها شخصية إيجابية، إذ تقوم على الحرية الحقيقية المنبثقة من العبودية الخالصة لله تعالى، وهي عبودية تُحرِّر الإنسان انفعالياً ومعرفياً، وتفتح أمامه آفاق التفاعل

الإيجابي مع الآخرين. ويتجلّى ذلك في التزامه بمبادئ السلوك الفردي القويم كحُسن الخلق، والصدق، والوفاء، والحلم، والصفح، والأمانة، والإخلاص، وأدب الحديث، وسلامة الصدر، والقوة، والحياء، والصبر، وغيرها من الصفات الحميدة. كما يمتد هذا الالتزام إلى مبادئ السلوك الجماعي المتمثلة في الشورى، والمساواة، والعدالة، والإخاء، فضلاً عن الأخلاق الاجتماعية كحب النظام، وروح التعاون، والثقة المتبادلة، ومراعاة مشاعر الآخرين والتعاطف معهم. وبذلك تُسهم هذه القيم في بناء شخصية مسلمة إيجابية، مؤمنة، تقية، تجمع بين القول والعمل، وتوازن بين أصالة المبادئ ومقتضيات العصر دون إفراط أو تفريط).

وقد أولى الإسلام هذه القيمة –الإيجابية - اهتمامًا كبيرًا، فحث على البذل، والعمل، والإصلاح، حتى في أحلك الظروف، كما يظهر في توجيهات النبي ﷺ التي تدعو إلى العمل ولو كانت الساعة قائمة، وهذا يؤكد أن الإيجابية ليست مجرد تفاؤل، بل هي التزام عملي يصوغ السلوك ويوجه الفكر نحو الخير والصلاح. وإنّ من «الوسائل التي تثير الهمة، وتدفع للقيام بالعمل: تذكر المواقف الإيجابية التي مرت بالمرء في حياته ولها علاقة بالعمل المراد القيام به في الحاضر، فعندما يجد المرء في نفسه تكاسلًا عن قيام الليل يُذَكِّر نفسه بيوم كذا وكذا عندما قام نصف الليل وكيف كان ذلك ممتعًا وسهلًا على نفسه، وعندما يستشعر عدم جدوى القيام بعمل ما نتيجة ضيق الوقت وقلة الإمكانات فعليه أن يُذَكِّر نفسه بمواقف إيجابية تعرض لها من قبل وكانت الظروف أشد، ومع ذلك أكرمه الله بالتوفيق والنجاح»).

هذا وإنّ الشخصية الإيجابية المتفائلة تتميز بجملة من الصفات المرتبطة بالإيمان العميق بالله تعالى والرضا بقضائه وقدره، فهي شخصية فاعلة تسعى إلى أداء الأعمال النافعة، وتوظيف قدراتها بصورة كاملة، كما تتسم بحب الخير للآخرين، والحرص على إسعادهم، مع ميلٍ واضح إلى الاستقلال والاعتماد على الذات، وهي قادرة على التوازن بين العزلة البناءة والتفاعل الاجتماعي المثمر، وتميل إلى التسامح وتجاوز أخطاء الآخرين، وتنأى بنفسها عن النزوع إلى السلوكيات السلبية، كما أنّها لا تُغالي في التعلُّق بالمظاهر المادية، وترفض الانغماس في الانفعالات السلبية سواء أكانت صادرة عنها أم عن غيرها. وغالباً ما تتسم هذه الشخصية بسلامة الصحة الجسدية والنفسية، وبشعور متجدد بالتقدم والتحسن، مما يعزز لديها الثقة في بلوغ أهدافها وتحقيق غاياتها).

وعليه يظهر، أن الإيجابية من أبرز السمات التي تسهم في بناء شخصية الطالب المسلم، إذ تُكسبه قدرة على تجاوز العقبات، وتعينه على استثمار قدراته الفكرية والروحية والسلوكية في

النهوض بذاته وخدمة مجتمعه. فالشخصية الإيجابية لا تكتفي برصد المشكلات، بل تبادر إلى الحل، وتُحسن الظن بالله والناس، وتسعى بإصرار نحو التغيير الإيجابي، متسلحة بالأمل والعمل معًا. وإن الطالب الإيجابي هو الذي يتفاعل مع ما يحيط به بروح المسؤولية والوعي، وينظر إلى التحديات على أنها فرص للنمو والتطور، لا عوائق للإحباط أو الانعزال. وتُسهم الإيجابية كذلك في تعزيز روح التعاون، والانفتاح على الآخرين، وبناء العلاقات الاجتماعية السليمة، مما يعكس صورة مشرقة عن التلميذ المتوازن سلوكيًا وأخلاقيًا.

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن منهج التربية الإسلامية في الصف السادس الإعدادي يسهم في بناء شخصية المتعلم من خلال ترسيخ الإيمان العميق وتعزيز الإيجابية، وربط القيم العقدية بالسلوك العملي. وقد توصل البحث إلى نتائج أبرزت الدور التربوي الفاعل للمنهج في تكوين شخصية متوازنة وواعية قادرة على التفاعل الإيجابي مع الحياة.

١. يتبين أن مناهج التربية الإسلامية تمثل إطاراً تربوياً منضبطاً يسهم في بناء الشخصية المتكاملة للمتعلم فكرياً وسلوكياً وروحياً وفق القيم الإسلامية.

٢. يتبين أن الإيمان في المنهج يمثل منظومة متكاملة تجمع بين التصديق القلبي والانقياد العملي، ويؤدي إلى بناء شخصية متوازنة قائمة على الطمأنينة والثبات والإيجابية في مواجهة تحديات الحياة.

٣. كما يظهر أن الإيمان العميق يعد أساساً في تكوين الشخصية المسلمة، إذ يوجّه السلوك ويعزز القيم الإيمانية والأخلاقية، ويسهم في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي لدى المتعلم.

٤. يتبين أن الإيجابية في المنهج قيمة تربوية مرتبطة بالإيمان، تقوم على التفاؤل والمبادرة وتحمل المسؤولية، وتسهم في بناء شخصية فاعلة قادرة على مواجهة التحديات بروح إيجابية متزنة.

٥. كما يظهر أن الإيجابية تؤثر في تكوين الشخصية المسلمة من خلال تعزيز العمل الإيجابي، وحسن الظن، والتفاعل مع الحياة بوعي ومسؤولية، مما يرسخ شخصية متعاونة، منتجة، ومؤثرة في المجتمع.